النشء والرجـــــولة

الشرق الإسلامى تكتنفه ظروف غامضة ، ويجتاز مرحلة عليها يتوقف مصيره لأجيال . ولم يسبق له فى تاريخه — رغم ما أصابه من نكبات — أن تعرض لمثل هذه الظروف والمحن ، حيث ضعفه ومرضه فى جميع مرافق حياته الاجتماعية ، اقتصادية كانت ، أو سياسية ، أو علمية ، أو أخلاقية . .

ولا ريب أن الشعور بهذه الحال السيئة لدى كل وطنى ، وأن هذه الصورة المؤلمة يستعرضها المرء فى كثير من أوقاته ؛ باحثاً عن علاج لها ، وأنجع دواء لهذه الأمراض الاجتماعية ، هو خلق الرجولة فى نفوس النشء ، وطبعهم على طابع العزة ، والاعتماد على النفس والثقة بها على خوض معترك الحياة ، وخير مقوم لما اعوج من حياتنا . وسبيل ذلك العناية بتربية النشء ، وتهذيبهم وتوجيههم توجيهاً صالحاً فى البيت والمدرسة .

والرجولة التى نريد بعثها ، وخلقها فى ناشئتنا ، هى الروح التى تخلق من الضعف قوة ، وتحيل الخور عزيمة ، وتجعل القطعة السبخة قطعة خصبة الإنتاج ، هى الروح التى لا تعرف معنى للاستكانة والمذلة ، هى الروح التى ليس فى « قاموس » حياتها جبن ولا خداع ولا مراوغة ، هى الروح التى تشعر بالواجب وتؤديه على خير الطرق وأقومها ، تلك الرجولة هى التى عناها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قوله المأثور : « يعجبنى من الرجل إذا سيم خطة ضيم أن يقول لا بملء فيه » . تلك هى الروح المؤمنة بعقيدتها ، وحقها فى الحياة ، وهى التى دفعت بأمواج الكتل الإسلامية فى العصور الأولى ، من فتح إلى فتح ، ومن معركة إلى معركة :

فمشت على الأسلات مشية واثق بالله والتاريخ والأجداد

وإذا أردنا إيجاد هذه الرجولة بتلك المعانى فى ناشئتنا ، فإنما يكون ذلك عن طرق ثلاث فى دراستهم . وأولى هذه الطرق العناية التامة بدراسة اللغة العربية وآدابها ، دراسة تبصرهم بذلك التراث الخالد ، وجعل جو المدرسة جواً تعليمياً أدبياً ، يدفعهم إلى التزود من ذلك الزاد . ومس مواطن جماله وقوته ، وإمدادهم بكمية من خير الكتب وأفضلها .

وإعداد مكتبة تجمع أنفس الكتب مما يتناسب وعقلية الطالب والغاية التى يهدف إليها والبيئة التى يعيش فيها .

وثانى الطرق التوجيه الدينى توجيها يفتح بصيرة النشء على حقائق الشريعة ، وأخذهم بلغة القرآن وأسلوبه وفهمه فهما صحيحاً ، ومما يتصل بهذه الناحية القول ، أنه مما يؤسف له أن الدراسة الدينية فى أكثر البلاد الإسلامية تكاد تكون شكلا فى المدارس الحكومية . نجح الغربيون فى هذه الناحية نجاحاً له خطره ، حيث ألقوا فى روع معظم شبابنا المثقف أن الدين يقف سداً بيننا وبين أسباب الحضارة ، والتقدم الاجتماعى فى مختلف نواحيه ، والضعف الذى يلازمنا فى هذا العصر ، وشعورنا بالنقص دوماً ، جعل هؤلاء يتلقون هذا القول قولا صادقاً ، كأنه تنزيل لا يأتيه الباطل ، بل يبلغ الأمر أن نأخذ أقوال بعض المستشرقين حجة ودليلا على عدم صلاحية الشريعة الإسلامية ، لمثل زماننا وحضارته ، عصر المادة والانحلال الخلقى ، وقد غاب عن هؤلاء أن الشريعة التى وسعت أعظم حضارة فى الأعصر الغابرة لم تتغير قواعدها وأصولها ، وإنما النفوس تبدلت والأفهام سقمت ، لأن كثيرا مما يتصل بالقواعد الأساسية لم يكشف عنه فيما مضى ، ولم تظهره أحوال تلك الأزمنة جلياً .

ولست أفهم كيف يبيح لنفسه من تنكر لدينه ، وتجرد عن عاداته وتقاليده ، ويحاول أن ينسلخ عن ماضيه فى كل وقت ، كيف يبيح لنفسه أن يدعى القومية ، وينادى بها إلا إذا كان معنى القومية هو نبذ كل ما يتصل بالدين ، والخروج عن تقاليد الأمة وعاداتها ، والأمة التى تتنكر لتاريخها ، ومعتقداتها غير جديرة بالحياة وليست لديها أسباب البقاء ، فإذا أردنا بعث الرجولة فى نفس النشء ، فعلينا أن نغذيهم بغذاء الدين وآدابه ، ونجعلهم يردون هذا المورد العذب على حقيقته العلمية الصحيحة ، والأمة التى تسلم من غزو العقل والثقافة يكون فى ميسورها أن تنطلق إلى ميدان الحياة حرة سيدة .

(البقية على ص ٠٠)